Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

توشك أن تلفظ أنفاسها ، وقد غلبها النزع الأخير فهى تذل وتستكين وتضع خدها على الأرض إيذاناً بالفراق وإعلاناً لما ألم بها من شدة الأوصاب والآلام ، آلام الوداع المؤير للنوار والأزهار التى تترقرق عيونها بندى بل بدمع سخين كما تترقرق بالدموع عيون المحبين المحزونين ، على حين كان النسيم العليل يزكو وينمو والطير يشدو مرجعاً ومردداً ، وحتى الذباب لا ينساه ابن الرومى فقد كان رنينه يخالط شَدْوَ الطير وغناءه(١١٩) .

وجعلته قدرته على نقل المشاهد الحسّية يَبْرع فى وصف مجالس الأنس وما يجرى فيها من خمر ، وهو لا يتورط فى المجون والإثم تورط أبى نواس وأمثاله ، وليس معنى ذلك أنه لم يكن يحتسى الخمر ، فقد كان شربها شائعاً فى عصره ، ودعا الخمر فى بعض شعره ريق الدنيا ، يقول :

فَتىً هَاجَر الدنْيَا وحرَّمَ رِيقَهَا وهَلْ رِيقُها إلا الرَّحيقُ المورَّدُ ؟(١٢٠)

وقد أكثر من وصف مجالس السماع ، وجعله ذلك يكثر من وصف المغنين والمغنيات ، وكانت أذنه مرهفة وشعوره حاداً ، فإذا لم يقع المغنى أو المغنية من أذنه موقعاً حسناً صبَّ عليهما شواظاً من هجائه ، ولعل أروع تصوير لمغنية محسنة تصويره لغناء وحيد ، وكانت فتنة صوتاً وحسناً ، وفيها يقول :

تتغنَّى كأنها لا تُغَنِّى من سكون الأوصال ، وهى تُجيدُ
لا تَراها هناك تَجْحَظُ عَيْنٌ لك منها ، ولا يَدِرُّ وَريدُ
من هُدُوٍّ وليس فيه انْقِطاعٌ وشُجُوٌّ وما به تبليدُ
مَدَّ فى شَأْوِ صوتها نَفَسٌ كا فٍ كأنفاس عاشقيها مَديدُ(١٢١)

وقد اشتهر بإكثاره من وصف ألوان الطعام والفاكهة ، وكان منهوماً بالطعام ، فكاد لا يترك لوناً من ألوانه دون أن يخصه بقصيدة أو مقطوعة ، من مثل قوله فى دجاجة مشوية وما قُدِّم معها من الثريد والمرققات والقطائف ، يقول :

---

(١١٩) انظر مقطوعته فى وصف الطبيعة وقت الربيع ، ديوانه ١ : ١٢٥ .
(١٢٠) الديوان ٢ : ٦٠٠ .
(١٢١) المصدر نفسه ٢ : ٧٦٣ وما بعدها .